

الأسير*

بقلم / عبدالنواب يوسف**

غرفة في دار من الدور القديمة في المدينة المنورة ، بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها .. الغرفة يغلب عليها الظلام .. هناك كوة صغيرة عالية يدخل منها القليل من النور .. كما أن هناك نافذة واحدة واضح أنها مغلقة جيداً .. الباب صغير .. يفتح ويوصد بشكل سريع .. عموماً ، تشعرنا الغرفة بأنها «سجن» . ليس بها إلا القليل من الأشياء ؛ قدر صغير للماء في جانب ، وبجواره بعض أواني الطعام . هناك صُرة ثياب معلقة في ركن من أركان الغرفة .

الأسير وحده ، يتحرك في الغرفة على أطراف أصابعه ، يتلصص عند الباب .. يطمئن .. يذهب إلى النافذة ، يحاول فتحها ، في اللحظة التي يكاد ينجح فيها يفتح الباب ، ويدخل الحارس «مصعب» ومن خلفه يظهر مساعده «حسان» .. الأسير يتراجع بسرعة من عند النافذة ..

الحارس : سنكتفي بتقييد قدميه هذه المرة ..

(يتقدم المساعد فيقيد قدمي الأسير) ..

الأسير : لا تضغط عليهما .. أنت تؤلمني ..

الحارس : استجب يا حسان ..

المساعد : لكن ، ماذا لو أنه فك وثاقه هذا ؟

الحارس : سنقيد يديه في المرة المقبلة ..

(ينتهي المساعد من عمله .. ويخرج وراء

الحارس ، ويغلقان الباب .. الأسير

يجرب السير وهو مربوط القدمين .. يصل

إلى صرة الثياب .. يخرج منها شيئاً وهو

الحارس : أرى أنك تحاول الهروب من الأسر ..

الأسير : هل تظنني أقبل البقاء هنا إلى الأبد ؟

الحارس : أعرف أنك تريد الإفلات ، لهذا لا بد أن أقيدك ..

الأسير : ماذا ؟! تقيدني ؟!

الحارس : نعم .. ما من سبيل للاطمئنان إلا بذلك ..

الأسير : ليس هذا من حقل ..

الحارس : لا تتحدث عن الحق .. قيده يا حسان ..

المساعد : هل أقيد يديه أم قدميه ؟!

* فازت هذه المسرحية بجائزة أحسن عمل درامي إذاعي قدم من خلال « صوت العرب » في التسعينات .

** الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية في الآداب ، حصل على جائزة الدولة التشجيعية في مصر في الأدب مرتين ، ومنحته هيئة اليونسكو جائزة العالمية في محو الأمية ، كما أنه عضو مجلس إدارة منتخب لاتحاد كتاب مصر . وله عشرات الكتب في الأدب والتربية ، وهو كاتب معروف للأطفال طبع من كتبه عشرون مليون نسخة .

يتلفت حوله . . يأكل جانباً من الشيء الذي أخرجه ، ويتلمظ . . يفاجأ مرة أخرى بدخول الحارس ، ليملاً القدر بالماء . . يخفي ما بيده . .

الحارس : معذرة . . جئتكم بالماء . .

لأسير : حسناً ، فلست أريد أن أعاني من العطش ، بجانب الأسر . .

الحارس : ماذا أخفيت في طيات ثيابك ؟

لأسير : لا شيء . .

الحارس : لا تكذب عليّ ، فقد رأيتك بعينيّ .

لأسير : هذا سري ، ولن أطلع عليه أحداً .

الحارس : كان يجب أن نفتشك . .

لأسير : لا . . لن أسمح بذلك .

الحارس : لا بد أن أعرف . . .

لأسير : شريطة ألا تذكر ذلك لأحد .

الحارس : لك عليّ هذا . .

لأسير : معي في الصرة (إلاه) . . (هامساً)

الحارس : (مفزوعاً) ماذا ؟ !

لأسير : قلت لك : إله !

الحارس (يقهقه) : ماذا تقول يا رجل ؟

لأسير : إنه إله من «العجوة» سويته بنفسه .

الحارس (مستمراً في الضحك) : هل يخلقك الإله أم

تخلقه ؟ !

لأسير : نحن والآلهة نتبادل المنافع والمصالح . . .

الحارس : لكن ، لماذا لم يستطع إلهك هذا أن يحميك

من الأسر ؟

الأسير : لا أدري . . وقد عاقبته بشدة على ذلك !

الحارس (يضحك) : عاقبته ؟ كيف ؟ !

الأسير : أكلت ذراعه . . وكان لذيذاً . .

الحارس : بالهناء والشفاء . . إن كنت جائعاً ، أخبرني

لآتيك بطعامك .

الأسير : لا . . لا حاجة بي إليه الآن . . .

(الحارس يملأ القدر بالماء . . ويتجه إلى الخارج . . بينما

يتحرك الأسير ببطء إلى فراشه البسيط . .

ويرقد عليه ، يخرج الحارس بينما يعبث

الأسير بقيوده . . وينجح في فك رباط أحد

القدمين . . ويغادر مكانه مجرباً السير . .

ويفاجأ بالحارس ومساعدته يفتحان الباب

حاملين الطعام . .

الحارس : جئتكم بالثريد واللحم . . .

المساعد (يلحظ فك الوثاق) - لقد فك الوثاق !

الحارس : إذن يحق لنا أن نُوثق يديه وقدميه . . .

الأسير : وكيف أتناول طعامي ؟

الحارس : سنُوثِّقك بطريقة تيسر لك ذلك . . لا تقلق

..

المساعد يعيد ربط وثاق القدمين ، بطريقة تسمح له

ببعض الحركة . . . ويوثق الذراعين بشكل

يمكن معه من تناول طعامه . . ثم يتركه

ويخرجان . . والحارس ينذر قائلاً . .

الحارس : سنشد وثاقتك عند أي محاولة أخرى

لفكه . .

(يخرجان . . ويتناول الأسير بعض الطعام . . ثم يغادر

مكانه لفحص النافذة . . ويقوم ببعض

أمرنا ديننا الحنيف أن لا نسيء إلى أسرارنا

الحارس : وكدت تقتلني . . .

الأسير : أقتلك أنت ؟ !

الحارس : أي ، نعم . .

الأسير : متى ؟ وكيف ؟ !

الحارس : في «بدر» . . .

الأسير لا تذكرني بها ، ولا بما حدث فيها . .

المساعد : كان يجيب على سؤالك ، لا أكثر .

الأسير : قلت إنني : كدت أقتلك ؟

الحارس : نعم . .

الأسير : ومع ذلك أراك لا تسيء معاملتي .

المساعد : بهذا يأمرنا ديننا الحنيف . . رغم قسوة ما رأيناه منكم في بدر . .

الحارس : كان جيشكم ثلاثة أضعاف رجالنا عدداً وعدة . . ومع ذلك . . .

الأسير : أعرف أعرف . . أرجوك ، لا أريد أن أسمع شيئاً عما حدث يومها .

الحارس : ما دام هذا يضايقك فلن أتحدث عنه . . فلا رغبة لنا في جرح مشاعرك .

الأسير : لكن . . أما من سبيل للخروج من هذا المكان ؟

المساعد : ما من سبيل إلا الفدية . .

الأسير : وهذه مستحيلة !

المساعد : لماذا لا تفتديك قريش وقد قاتلت معها ؟

الأسير : أنت تعرفهم . . يغرونك ، ثم ينسونك بعد أن تقع . . هذه أخلاقهم !

الحركات البهلوانية المضحكة ، لكي يفك

وثاق قدميه بيديه المربوطتين . . ينجح في فك

جانب منها ، ويستمر رأسه على عقبه .

يدخل الحارس ومساعدته ، يجدانه نائماً على

ظهره ، قدماه عند رأسه ويداه تحلان الوثاق .

الحارس : جئنا نحمل الأطباق و . . (يفاجأ بمنظره ومحاولاته . . .)

المساعد : لا سبيل إلا بتقييده ، ويداه خلف ظهره . .

الحارس : يبدو أنه ليس أمامنا غير هذا . .

(الأسير يعتدل ويجلس القرفصاء) .

الأسير : إنني لم أعد أطيق هذا الأسر .

الحارس : هو جزاؤك على قتالك لنا .

الأسير : وأين ما نتحدثون به عن سماحتكم ؟

الحارس : نحن هنا نطعمك ونسقيك . .

المساعد : وتركنك بلا قيود إلى أن حاولت الهرب . . .

الحارس : ولم نسيء إليك في شيء . .

الأسير : ولكنكم تسجنوني ؟

الحارس : ما عذبتك ولا أذيتك ، كما فعلتم بنا في مكة . .

الأسير : وإلى متى يستمر هذا ؟

الحارس : أنت أسير حرب . .

المساعد : إما أن تفتدي نفسك ، وإما أن يفتديك أهلك .

الأسير : لا يملكون ولا أملك ما يمكننا من ذلك .

الحارس : لكنك كنت تملك حصاناً وسيفاً . . .

الأسير (في دهشة) : كيف عرفت ؟ !

إطلاق سراح كل أسير يعلم غيره القراءة

المساعد : ما دمت تعرف عنهم هذا ، لماذا أقدمت على الانضمام إليهم ؟

الأسير : وعدوني بالكثير من المال . . مائة من الإبل !

المساعد : لماذا لا يأتون بها لإطلاق سراحك ؟

الأسير : أنا الآن في نظرهم لا أساوي ناقة واحدة . . (يضحك)

الحارس : فاتني أن أسألك شيئاً . . هل تعرف القراءة والكتابة ؟

الأسير : أجيدها بصورة طيبة . . وقد علّمت زوجتي وابني .

الحارس : حقاً ؟! . . أنت إذن تستطيع الحصول على حريتك . .

الأسير : كيف ؟ !

الحارس : إذا أنت علمت عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . .

الأسير : حقاً ؟! أتصدقني القول ؟!

الحارس : هل جربت منا الكذب ؟!

الأسير : لا ، لا . . لكنني لا أصدق أذني ، إنها فرصة فريدة .

الحارس : هل تستطيع هذا ؟!

الأسير : نعم . . إذا اخترتم لي عشرة من الأذكاء . .

الحارس : إنهم أذكاء بالطبع ، فقد هداهم عقلهم إلى الإيمان بالله ورسوله . .

الأسير : أرجوك . . أسرع . . آتيني بهم . .

الحارس : هل تتصورها مهمة سهلة ؟!

الأسير : من هو في موقعي ، أسيراً ، لا بد أن يُضني مر أجل إطلاق سراحه . .

المساعد : إذن أنت تدرك أنها مسألة ليست باليسيرة ؟

الأسير : طبعاً . . لكنها ليست أصعب مما أنا فيه . .

الحارس : حسناً . سنأتيك بمن ستعلمهم إذن

الأسير : هاتهم . . هو عمل على الأقل سيُسري عني ، وينسيني ما أنا فيه . .

الحارس : على كل ، سأكون أول الدارسين على يديك . .

المساعد : وأنا الثاني . .

الأسير : مرحباً بكما . وهل ستجدون ثمانية آخرين ؟

الحارس : ليس هناك أسير من ذلك .

المساعد : الجميع يسعون إلى العلم ، والتعليم . .

الحارس : بهذا يأمرنا ديننا . .

المساعد : ويحضننا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

الأسير : هذا واضح . . وإنها لأول مرة في التاريخ - على حد علمي - يطلق سراح الأسير إذا علم عشرة من الأميين القراءة والكتابة .

الحارس : الجديد - الذي أتى به الإسلام - كثير . .

المساعد : وهو يبغي به خيرنا في الدنيا والآخرة . .

الأسير : لكنكما لا تتكلمان كالأميين ؟!

الحارس : ماذا تعني ؟!

الأسير : أراكما متفتحين ، تحسان الحديث ، و . .

الحارس : ما دمنا لا نحسن القراءة والكتابة فنحن من الأميين .

المساعد : ونحن في حاجة إلى مساعدتك لنا . .

الأسير : وهل ستفكان قيودي ؟

الحارس : طبعاً . . شريط ألا تحاول الهروب . .

الأسير : كنت أحاول ذلك حين فقدت الأمل في إطلاق

سراحي .

المساعد : والآن ؟

الأسير : فتحتم لي باب الأمل ، على أوسع أبوابه .

الحارس : وبذلك ترتاح وترتاح .

الأسير : نعم . . ثم إنني لن أشعر بملل الحبس وضيق

الأسير .

المساعد : ما بنا رغبة في أن يتسلل إليك مثل هذا الشعور .

الأسير : إذن هيا بنا . . آتوني بالأمين .

الحارس : سيكونون هنا عما قريب .

الأسير : فرجت . . حمداً للآلهة . . ناولني صرة ملابسي . .

(الحارس يقدمها إليه وهو يسأله . .)

الحارس : ما حاجتك بها ؟

الأسير : أشكر إلهي العجوة . . وأقضم منه ذراعه الآخر . .

الحارس والمساعد يقهقهان -

(ستار)

المنظر الثاني :

نفس المنظر الأول ، لكن يخلو إلى حد ما من مظاهر

الحبس والسجن . الإضاءة أصبحت أقوى ،

ومن الممكن فتح النافذة . . .

الحارس ومساعدته - في البداية - يفكان قيود الأسير .

الأسير : ألا تخاف أن أهرب ؟!

الحارس : ستراقبك عشرون عيناً ساهرة . .

الأسير : كيف ؟!

الحارس : هؤلاء الذين سيتعلمون على يديك . .

الأسير : آه . .

المساعد : لن ندعك وحدك إلا ساعة النوم . .

الأسير : ومتى يفد طلاب القراءة ؟

الحارس : بعد لحظات . . ومعك اثنان منهما تستطيع أن

تبدأ معهما . .

الأسير قل لي بصدق : ما حاجتك بالقراءة والكتابة ؟

الحارس : مثل حاجتك للحرية . . والطعام ، والشراب . .

الأسير : إلى هذه الدرجة ؟

الحارس : نعم . .

الأسير - (للمساعد) - وأنت ؟

المساعد (يمسك رأسه) : أحس أن رأسي مظلم ، وأنني

أسير في ظلام . .

الأسير : أتصدقني القول ؟

المساعد : حينما أمسك برق غزال عليه آية كريمة ، أتوق

لقراءتها فتستعصي عليّ . . ساعتها أشعر

بالأسى ، وتنساب دموعي . .

الأسير : تبكي لأنك لا تعرف القراءة والكتابة ؟

المساعد : أقولها لك بصراحة : إنني أكاد أبكي بدل

الدموع دماً . .

الأسير : هل القراءة ضرورية عندكم لهذا الحد ؟

يساعد : نعم . . لكنك لن تستطيع أن تدرك ذلك إلا إذا كنت مسلماً تريد أن تقرأ القرآن الكريم . .

الأسير : ربما ، فلا علم لي به . .

تسمع دقات على الباب الخارجي .

يساعد : ها قد قدم البعض . .

حارس : اذهب وافتح لهم الباب .

يدخل شيخ كبير يمسك بيده طفلاً صغيراً . . يخطوان معاً بشكل منتظم . . .

شيخ الكبير والطفل : السلام عليكم . . .

حارس : وعليكم السلام . .

شيخ الكبير : أين معلمنا ؟!

حارس : وهو يشير للأسير في تقدير - ها هو . .

شيخ الكبير : لك الشكر مقدماً مني .

الطفل : ومني أيضاً . .

حارس : تفضلاً بالجلوس .

شيخ الكبير : لا نستطيع ذلك . .

حارس : لماذا ؟!

شيخ الكبير : حتى يأذن لنا معلمنا .

الأسير : ماذا ؟! . . تفضل يا عماه . . تفضل . .

ومعذرة ، أذهلني دخولكما عن الترحيب

بكما . . ما توقعت أن . . . تفضلاً . .

الطفل : تفضل يا جدي العزيز . .

الشيخ الكبير : (الطفل يتهيأ للجلوس . .)

الأسير : جدك ؟

الطفل : أي نعم . . (الطفل يتهيأ للجلوس وراء جده

لليمين . .)

الأسير : أهلاً ومرحباً يا عماه . . ما زالت الدهشة تعقد لساني . .

الشيخ الكبير : لماذا الدهشة ؟!

الأسير هل . . هل . . هل أستطيع أن أسألك : لماذا تريد أن تتعلم في هذه السن ؟

الشيخ الكبير (وهو يشير بإصبعه إلى السماء) : استجابة لأمر الله

الأسير (يضحك) : هل أمرك الله بأن تتعلم ؟! (في سخرية طفيفة)

الشيخ الكبير : أي نعم . .

الأسير : كيف هذا ؟! ومتى ؟!

الشيخ الكبير : في أول أمر نزل منه . . مع أول آية أوحى بها الله إلى رسوله الكريم . . بسم الله الرحمن الرحيم (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) صدق الله العظيم . .

الأسير : لكنك شيخ كبير ، ولن تجديك القراءة والكتابة ؟

الشيخ الكبير : قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟

الأسير : ألدبك لكل سؤال جواب ؟

الشيخ الكبير : الحمد لله الذي جعلني قادراً على ذلك .

الأسير : يا رجل إن بينك وبين الرحيل عن الدنيا خطوة واحدة ؟

الشيخ الكبير : الأعمار بيد الله . وتعلموا العلم من المهدي إلى اللاحق . .

التعلم في الكبر استجابة لأمر الله

الأسير : لقد سمعت المثل على أنه (التعليم في الكبر . .)

الطفل : ممكن . . لأنه صعب كالنقش على الحجر !

الأسير : واضح أنني - أنا - الذي سيتعلم الكثير . . متى نبدأ ؟

الحارس : الآن إذا شئت . . أو ننتظر الباقين . .

الأسير : أرجو ألا يتأخروا . .

الحارس : اذهب واستدعهم يا حسان

المساعد : سأكون هنا بعد لحظات . .

الحارس : سنستعد بالأقلام والألواح ، ونهسيء المكان . .

(يقومون جميعاً لتهيئة المكان ويخرج المساعد . .

الحارس يعمل ستاراً داكناً . . الطفل يعد

مجلساً للعلم . . والشيخ الكبير يأتي بالوواح

ورق غزال وأقلام من البوص . . يدخل أربعة

أشخاص ومن خلفهم مساعد الحارس . .

يضعون وسادة ليجلس عليها المعلم ، وأخرى

ليسند ظهره إليها . . مصباح زيتي . .

الأسير : أراكم ثمانية فقط ؟

المساعد : بل نحن عشرة . .

الأسير (ساخراً) : هل أنت أُمِّي إلى هذه الدرجة ؟ !

كم عدد الحاضرين هنا ؟

المساعد : تسعة . .

الأسير : تسعة ؟ ! (ساخراً ضاحكاً)

المساعد : نعم . . أنت يا معلمنا . . ونحن الرجال

الأسير : إلى اللحد ؟ حتى ولو صعب عليك هذا ،
وبَعْدُ عنك ؟

الشيخ الكبير : اطلبوا العلم ولو في الصين . .

الأسير : ما دمت بهذا الذكاء ، وبهذه الفصاحة ، لماذا
لم تتعلم وأنت صغير ؟

الشيخ الكبير (في صوت مبطن بالحزن) : ختمت عبادة
الأصنام على نفسي وقلبي . .

الأسير (مقاطعاً) : لماذا ؟

الشيخ الكبير (مواصلًا) : ولما أشرقت نفسي بالإيمان
بالله ورسوله فتحت للنور والمعرفة . .

الأسير : ما أعجب ما فعل بكم محمد . . كم تغيرتم !

الشيخ الكبير : لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم . .

الأسير : صدقت . . وأنت أيها الصغير ، ماذا جاء
بك ؟ تعين جدك على الطريق ؟

الطفل : لا . . هو يعرف طريقه جيداً والحمد لله . .

الأسير : لماذا أتيت إذن ؟

الطفل : لأتعلم . .

الأسير : ما زلت صغيراً ؟

الطفل : لست صغيراً ، بل إنني أصلي لله فأنا فوق
السابعة !

الأسير : متى تستطيع أن تجاري الكبار . .

الطفل : بل سأجري وأسبقهم . . التعليم في الصغر
كالنقش على الحجر . .

الأسير : تعرف لماذا ؟ !

الطفل : لأنه يبقى ولا يزول . .

تعلموا العلم من المهد إلى اللحد

طلاب العلم ثمانية .

أسير : تشرطون أن أعلم عشرة؟

ساعد : نعم . . . معنا اثنتان ستتعلمان القراءة والكتابة . .

أسير : ماذا؟! امرأتان؟!

ساعد : نعم . . أي شيء هذا؟!

أسير : وأين هما؟

ساعد : ستتعلمان من وراء هذا الحجاب (يشير إلى الستار الداكن . . .)

أسير : إنه لأمر مذهل مدهش .

ساعد : ما الذي يدهشك فيه؟

أسير : نحن نند المرأة هناك ، وتعلمونها هنا !

ساعد : بالعلم تربى أبناءها على العلم . .

أسير : صدقت . . فلنبدا . .

جلسون في حلقة وفي صدرها «الأسير» المعلم . .

شيخ الكبير : هيا تفضل باسم الله . .

الحارس : نحن جاهزون . .

فل : ومستعدون تماماً . .

أسير : لغة الضاد تتكون من ثمانية وعشرين حرفاً . .

أولها حرف الألف . وهو كالعصا . .

وتتوالى من بعده الحروف . . ونحن ننطق

عدداً منها بقولنا : ابتشجع . . .

ضحكون ضحكاً مكتوماً . . .

أسير : أي ألف باء تاء ثاء جيم حاء . . . وننطق عدداً

آخر بقولنا (خدذرز) . . .

(يضحكون . . .)

(تطفأ الأنوار ، وتضاء . . .)

الدارسون يغيرون أماكنهم . . .

(أي أن الوقت يمر . . .)

الأسير : اكتبوا . . اللات . .

العجوز : هل تسمح لنا أن نخطها على الرمل؟

الأسير : لا مانع . .

الطفل : لا أحب أن أكتب هذه الكلمة . . (هامساً)

الشيخ الكبير (هامساً) : اكتبها ، والعنها . .

الطفل (يخط على الأرض . . وكذلك الجميع . .)

الأسير (للطفل) : أخطأت هذه المرة : اللات فيها

«لامان» . .

الطفل : آسف ، سأعيد كتابتها . .

الأسير : اكتبوا : العزى . .

الحارس : هل هكذا نكتب؟

الأسير : لا . . إنها تكتب بالياء ، لا بالألف . .

الحارس : نعم نعم . . معذرة . .

الأسير : اكتبوا : هبل . . مناة !

المساعد : ها هي ذي . .

الحارس : هل تكتب مناة بالتاء المفتوحة؟

الأسير : ما دامت تنطق بالهاء . . مناه . . إذن هي تاء

مربوطة . . (يتنهد)

الحارس : إذا كنت قد تعبت يا معلمنا ، فلنكتف بما

حصلنا عليه اليوم

الأسير : دعوني أسترح ساعة . . وعودوا إلي . .

الشيخ الكبير : سمعاً وطاعة . .

(ينصرفون . .)

الحارس يحمل الماء إلى «الأسير»

المساعد : سنأتيك بطعامك على الفور . .

الأسير : أشكرك . .

المساعد : سيكون هناك لبن وتمر إلى أن يطهى اللحم

الأسير : الحق أنكم أحسستم معاملتي . . وازدادت

حسناً بعد أن بدأنا الدروس

المساعد : هل أحسست أننا نتقدم ؟

الأسير : إلى حد كبير . . أنتم مشغوفون بالتعلم . .

وفي هذا مساعدة كبيرة لي . .

الحارس (للمساعد) : اذهب فأت بالطعام من

فضلك . .

المساعد : سأكون هنا بعد قليل

(يخرج المساعد ،

تقرب الأسير من الحارس . .)

الأسير (في خبث) : لقد أصبحت معلمك .

الحارس : ماذا تعني ؟

الأسير : هل ترضى لنفسك أن تكون سجاناً لمعلمك ؟

الحارس : لستُ سجاناً . . إنما أنا حارس عليك حتى

تؤدي ما فرضه رسول الله # عليك من تعليم

عشرة ، لنطلق سراحك . . .

الأسير : لقد تعبت من هذا العمل . .

الحارس : لم تتعب يوم بدر في قتالنا !

الأسير : قلت لك لا تذكرني بهذا اليوم . .

الحارس : بل يجب أن تذكره ، لأنه هو الذي أتى بك

إلى هنا . . وأنت بتعليمنا تكفر عن قتالك

ضدنا . .

الأسير : ألا تستطيع أن تعينني على الخروج من هنا ؟

الحارس : إلى أين ؟

الأسير : إلى مكة . . واجزل لك العطاء !

الحارس : ماذا تقول ؟ أتريد مني أن أخون الأمانة ؟

الأسير : لا ترفع صوتك هكذا ، قد يسمعونك !

الحارس : لا بد أن يسمعونني .

الأسير : ماذا ؟

الحارس : لا بد أن أنقل إليهم ما قلته لي .

الأسير : أرجوك ، لا تفش سري .

الحارس : هذا ليس بسر ، لقد حاولت أن تغريني

لأسمح لك بالهرب . .

الأسير : أتوسل إليك - باسم ما علمتك - ألا تذكر شيئاً

عما دار بيننا . .

الحارس : شريطة أن تقسم أنك لن تحاول الفرار ولن

تسعى لذلك مرة أخرى .

الأسير : أقسم باللات والعزى ألا أفعل . .

الحارس : وأنا سامحتك ، وسأحتفظ لك بما قلت . .

الأسير : كفى . . إني أسمع أصواتاً قادمة . .

الحارس : لا تقلق . .

(يدخل المساعد حاملاً التمر واللبن . .)

المساعد : ها هو ذا التمر من أجود ما أثمره نخيل المدينة

المنورة . .

الأسير : فلتبارك فيه الآلهة . .

المساعد : واللبن من أفضل ما تحلبه النوق ..

الأسير : شكراً لها ولك ..

(يضع الطعام بين يديه ...)

.. يدخل واحد من الذين يتعلمون يحمل مقعداً ..

ومنضدة صغيرة ...

رجل : تفضل هذا يا معلمنا ..

الأسير : ما هذا ؟!

رجل : أنا نجار ، وقد صنعت لك مقعداً تجلس إليه ..

يرفع الوسادة ، ويضع المقعد ومن فوقه الوسادة ..

الأسير (وهو يجلس) : شيء عظيم .. ولا عرش

بلقيس ..

رجل (يضع أمامه المنضدة) : وهذه أيضاً ...

يضعون له فوقها التمر واللبن ..)

فارس : هكذا تستطيع أن ترانا جميعاً ، ونراك !

الأسير : شكراً .. شكراً ...

(دخل الشيخ الكبير ..)

شيخ الكبير : معذرة ، جئت مبكراً قبل موعد

الدرس ..

الأسير : لماذا ؟!

شيخ الكبير : لأهديك هذا النعل ..

الأسير : هدية مقبولة ..

شيخ الكبير : رأيته تسير حافي القدمين ..

الأسير : وكيف يكون لي نعل في مثل ظروفاتي ؟

شيخ الكبير : ها قد أتيتك به .. جاءك دون أن

تطلبه ..

الأسير : أنا ممتن لك ..

(يلبس النعل ويتحرك به في الغرفة راضياً

سعيداً ، ويجلس إلى مقعده في شيء من

الزهد ...)

يخرج الجميع ، فلا يبقى إلا الأسير والشيخ الكبير

(...)

الشيخ الكبير : واضح أنك راضٍ بما قسمه الله لك ؟

الأسير : إني أشكر الإله على كل شيء .. لكن البعض

- منكم - يتعلم في بطن شديد .

الشيخ الكبير : هم يبذلون أقصى ما في طاقتهم ، غير

أنك متعجل للأمر .

الأسير : صدقت .. نعم ، أنا متعجل لرغبتني في أن

أفحرر ...

الشيخ الكبير (هامساً) : هل تعرف أنك مسؤول عن تأخر

البعض في الكتابة والقراءة ؟

الأسير : أنا ؟! كيف ؟! أنت تعلم أنني تواق للحرية .

وأعمل ليل نهار ...

الشيخ الكبير : أنا معك ، لكنك لا تحسن اختيار

العبارات والكلمات التي تعلمنا إياها ..

الأسير : ماذا تعني ؟!

الشيخ الكبير : علمنا كيف نكتب كلمات مثل : الله ..

رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

علمنا أن نكتب : إن الله يحب المحسنين ..

علمنا كلمات الشهادة .. الصلاة .. الزكاة

.. الصوم ..

الأسير : هل يساعدكم هذا على التعلم بسرعة ؟

الشيخ الكبير : بأسرع مما تتصور .. في أقل من نصف

الوقت ..

الأسير : حقاً ؟! سأفعل ما تشير به إذن !

الشيخ الكبير : فلتعمل علينا بعضاً من آي الذكر الحكيم ..

الأسير : لا أحفظ منه شيئاً ..

الشيخ الكبير : نأتيك ببعض من سورة الكريمة .. أنت ذاتك ستستمتع بالإملاء ..

الأسير : آتني بها .. أرجوك ..

الشيخ الكبير (يخرج جلد غزال من بين ثيابه ...) : خذ ..

الأسير : شكراً جزيلاً لك ..

(يدخل الدارسون .. يدخل الحارس .. ومعه المساعد يحمل طبقاً ...)

المساعد : وهذا الطعام هدية لك ..

الأسير : لحم وثريد .. ممن ؟

المساعد : من واحدة ممن يتعلمن على يديك ..

الأسير : أحمدهما ما صنعته .. فلتبارك لها الآلهة جهدها ..

المساعد : يا رجل .. ليست هناك الآلهة .. إنما هو إله واحد ..

الشيخ الكبير : هل نتركك حتى تأكل طعامك ؟!

الأسير : لا .. سأعلق لكم هذه الآيات .. لتتقلوها ..

الحارس : أحسنت .. وحتى تصل الدارستان ...

(ينهمك الأسير في الأكل .. بعد تعليق الورقة ..

وينهمك الدارسون في الكتابة ...

* * *

المنظر الثالث :

نفس المكان - وقد انتهت منه بالكامل مظاهر السجن ..

رفع الستار الداكن .. الأسير يلملم أشياء ..

.. يدخل الحارس ..

الحارس : كيف أنت الآن ؟

الأسير : بخير ، بل وسعيد ..

الحارس : أرايت كيف تعلمنا بسرعة ؟

الأسير : أنتم مذهلون ..

أتدري السر ؟

الأسير : لا ..

الحارس : إنه بسيط .. منذ كفت عن تعليمنا كلمات :

اللات والعزى ..

الأسير (يتبته) : آه ..

الحارس : وبدأت تلمي علينا آيات من كتاب الله ..

الأسير : هي نصيحة الشيخ الكبير الطيب

الحارس : منذ تلك اللحظة يسرت علينا مهمتنا

الأسير : ويسرتموها لي ..

الحارس : وها قد اقترب موعد إطلاق سراحك ..

الأسير : أرجو أن تصدقوا فيما وعدتم !

الحارس : ستري ..

الأسير (وهو يتمشى) : أشعر بحنين طاغ إليك يا

مكة ..

لا تمسوا الأطفال والشيوخ والخضر

- الأمي ١ : جئت أشكرك هلى ما قمت به نحوي . .
 الأسير : عفواً . .
 الأمي ١ : لقد اجتزتُ الاختبار . . ومن أجل هذا جئتُك
 بهدية .
 الأسير : هدية ؟
 الأمي ١ : نعم . . قدر من العسل . . تحمله معك إلى
 أسرتك .
 الأسير : أشكرك
 الأمي ٢ : وأنا جئتُك بصاعين من التمر . .
 الأسير : هدية مقبولة . .
 الأمي ٣ : وأنا جئتُك بثوب : قطرية ، جميلة الصنع . .
 الأسير : حقاً ؟ نعم الاختيار . .
 الأمي ٣ : رسول الله ﷺ ارتدى مثلها !
 الأسير : لا أدري والله كيف أشكرك
 الأمي ٤ : واسمح لي أن أقدم لك أربعة ساعات من
 البر . .
 الأسير : لا أكاد أصدق ما يجري . .
 الأمي ٤ : متى ترحل لنكون في وداعك ؟
 الأسير : إذن ، ستفدون ما وعدتم به ؟
 الأمي ٤ : هل تصورت شيئاً غير هذا ؟ !
 الأسير : خشيت أن ترجعوا عما اعتزتم . .
 الأمي ٤ : لا لا . . لا تخش شيئاً . .
 الأمي ١ : سنتظرك بالبواب إلى أن يأتي الباقيون وتعد
 نفسك للرحيل
 الأسير : شكراً شكراً . . .

- الحارس : سترجع إليها إن شاء الله . . .
 الأسير (مواصلاً) : أحسّ بوحشة شديدة لأمي . .
 وأبي . . وإخوتي . .
 الحارس : عما قريب ستراهم إن شاء الله .
 الأسير : لا أظن أن ذلك سيحدث .
 الحارس : لماذا ؟
 الأسير : أعتقد أنكم تسخرون مني وتُسخرُوني
 لتعليمكم ، ثم لا تتركُوني أذهب . .
 الحارس : لماذا تظن بنا الظنون يا رجل ؟ ! إن بعض الظن
 إثم . .
 الأسير : أخشى أن يتظاهر البعض بأنهم لم يتعلموا
 ليقُوني أسيراً !
 الحارس : لا تقلق . . هذا ليس من ديننا ولا من شيمنا
 ولا من أخلاقنا . .
 الأسير : هل أنتم عند كلمتكم حقاً وصدقاً ؟
 الحارس : طبعاً . . والذي علمتهم يظهرون فرحتهم
 بذلك ، ويتدربون ليل نهار على القراءة
 والكتابة . . بل كل منهم يتطلع لأن يكون
 واحداً من كُتاب الوحي . .
 الأسير : ماذا تعني ؟
 الحارس : أعني أنه يريد أن يكتب الآيات التي يوحى بها
 الله إلى رسوله . . وإنه لشرف - لو تعلم -
 عظيم .
 الأسير : إذن لي أن أطمئن ؟
 الحارس : كل الإطمئنان . .
 تدخل أربعة من الذين كانوا يتعلمون على يدي
 الأسير . . كل منهم يحمل شيئاً . . .

(يخرج الدارسون . . .

ويجلس الأسير مفكراً ، والحارس يدور من حوله .)

الحارس : لم تكن تصدق أنك ستكون طليقاً ؟

الأسير أعترف بأنني ما كنت أصدق . .

(يدخل الشيخ الكبير والطفل . . . ويظهر بالباب

مساعد الحارس . . .)

الشيخ الكبير : السلام عليكم . . ورحمة الله

وبركاته . .

الأسير : وعليكم السلام . . .

الطفل : كيف أنت يا عمه ؟

الأسير : بخير يا بني . .

الشيخ الكبير : هل أعددت كل شيء للرحيل ؟

الأسير : نعم ، تقريباً . . يتبقى أن تفرجوا عني .

الشيخ الكبير : إنك لم تعد أسيراً

الأسير : من قال بهذا ؟

الشيخ الكبير : أنا أقول بذلك وأقطع به ، ومعني العشرة

التي علمتهم القراءة والكتابة

الأسير : هل تأكدتم أنهم جميعاً قد تعلموا القراءة

والكتابة ؟

الشيخ الكبير : نعم ، وأحسنوها . .

الأسير : والمرأتان ؟ !

الشيخ الكبير هما أيضاً تعلمتا على خير وجه . . وشهد

بذلك الشهود . .

الأسير : إذن ، يحق لي أن أنطلق عائداً إلى وطني

وأهلي ؟

الشيخ الكبير : أي نعم . . وقد أحضرت لك شاة ،

تنتظرك بالخارج لتحملها معك .

الطفل : وأنا أتيت لك بعنزة صغيرة . . هدية !

الأسير : شكراً لكما . . شكراً . .

المساعد : وقد اشتركت والحارس في شراء فراش

لك . .

الأسير : ما كل هذا ؟ !

الحارس : أنت تستحق منا كل هذا جزاء وفاقاً لما قمت به

معنا .

الأسير : قمت به من أجل إطلاق سراحني ، ولم أكن

مخيراً .

الحارس : بل كان يمكنك أن تفتدي نفسك

المساعد : قلنا لك إننا نعرف أنك تمتلك الكثير . .

الحارس : وعرفنا أنك بخلت بدفع الفدية !

الشيخ الكبير : لا نقول بخل بدفع الفدية ، من يدري

ربما كان يختبرنا . .

الحارس : علم ذلك عند الله .

الشيخ الكبير : على كل حال ، كل شيء جاهز

لرحيلك .

الحارس : والجميع هنا لتوديعك . . سنستدعيهم . .

(يخرج المساعد ، ويعود بالأربعة . .)

الأسير : هل أنتم واثقون من أنني الآن حر ؟

الشيخ الكبير : كل الثقة . .

الحارس : أنا حارسك أقول لك أن من حقك أن تمضي

عائداً إلى مكة . .

المساعد : وأنا مساعده ، سأسير معك إلى خارج

المدينة . .

الحارس : ماذا ؟!

الأسير : أرجوكم .. أرجوكم أن تدعوني وحدي قليلاً ..

(يخرجون ...)

يجلس وحده .. يخرج من طيات ثيابه جلد الغزال وعليه آيات من القرآن الكريم ... يتلوها ...

(وتختار له بعض الآيات التي تحض على التقوى ..)

(يقف في هدوء .. ويتمشى جيئة وذهاباً ..)

يمضي إلى الباب .. يناديهم ..

الأسير : تعالوا ..

الحارس : ماذا بك ؟

الرجل : هل بك شيء ؟

المساعد : إن كنت مريضاً فابق إلى أن يشفيك الله ..

الأسير : بل لقد شفاني .. شفاني من سقم الروح

والنفس .. شفاني من الجهل والظلام ..

شفاني من الكفر والإلحاد ..

اسمعوها مني ...

أشهد أن لا إله إلا الله ..

وأشهد أن محمداً رسول الله ..

عليها أحيا وعليها أموت ..

الجميع : الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

(المسرح يغمره الضياء ... وهم يحتضنونه

.. ويسمع آذان من بعيد ... والستار ينزل

رويداً رويداً ..)

خاتمة

طفل : بل ، كلنا سنفعل ذلك تحية لك .

الأسير : نعم نعم ...

سير جيئة وذهاباً وهم يتطلعون إليه ...)

الحارس : ماذا بك ؟!

الأسير : إنني «أسير» ..

طفل : نعم ، نحن نراك تسير !

الأسير : لا لا .. لا أقصد هذا .. أعني أنكم

أسرتموني ..

الحارس : هذه حكاية قديمة ، قاتلتك ونصرنا الله ..

وأسرناك فعلت منا عشرة ..

شيخ الكبير : فصار لك الحق في أن تكون طليقاً ..

طفل : وتعود إلى مكة معزراً مكرماً ..

المساعد : ومعك من يحرسك على الطريق ..

الأسير : كل هذا أعرفه .. لكنني أقول إنكم أسرتموني

بإحسانكم .. أسرتموني بعطفكم ..

أسرتموني بنبلكم ..

شيخ الكبير (يضحك) : أهذا ما تقصده ؟

الأسير : أي نعم .. لذلك لا أظنني بقادر على المشي

إلى مكة ..

الأسير : لن تمشي إليها ! ، فقد أعددت لك راحلة ..

الأسير : ماذا ؟! راحلة لي أنا ؟ أنا الذي قاتلتكم في

بدر ؟ أنا الذي شاركت في تعذيبكم ؟ و ...

الحارس : دعك من كل هذا .. الآن .. الراحلة بالباب

تنتظرك ..

الحارس : هي جاهزة لتذهب بك إلى مكة ..

الأسير : أنا لست جاهزاً ..